تفسير ابن كثير

يخبر تعالى عن المنافقين أنهم يتربصون بالمؤمنين دوائر السوء بمعنى ينتظرون زوال دولتهم وظهور الكفر عليهم وذهاب ملتهم { فإن كان لكم فتح من ا } أي نصر وتأييد وظفر وغنيمة { قالوا ألم نكن معكم } أي يتوددون إلى المؤمنين بهذه المقالة { وإن كان للكافرين نصيب } أي إدالة على المؤمنين في بعض الأحيان كما وقع يوم أحد فإن الرسل تبتلى ثم يكون لها العاقبة { قالوا ألم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين } أي ساعدناكم في الباطن وما ألوناهم خبالا وتخذيلا حتى انتصرتم عليهم وقال السدي : نستحوذ عليكم نغلب عليكم كقوله : { استحوذ عليهم الشيطان } وهذا أيضا تودد منهم إليهم فإنهم كانوا يصانعون هؤلاء وهؤلاء ليحظوا عندهم ويأمنوا كيدهم وما ذاك إلا لضعف إيمانهم وقلة إيقانهم قال تعالى : { فا يحكم بينكم يوم القيامة } أي بما يعلمه منكم أيها المنافقون من البواطن الرديئة فلا تغتروا بجريان الأحكام الشرعية عليكم ظاهرا في الحياة الدنيا لما له في ذلك من الحكمة فيوم القيامة لا تنفعكم ظواهركم بل هو يوم تبلى فيه السرائر ويحصل ما في الصدور .

وقوله : { ولن يجعل ا للكافرين على المؤمنين سبيلا } قال عبد الرزاق : أنبأنا الثوري عن الأعمش عن ذر عن سبيع الكندي قال : جاء رجل إلى علي بن أبي طالب فقال : كيف هذه الاية { ولن يجعل ا للكافرين على المؤمنين سبيلا } فقال علي Bه : أدنه أدنه فا يحكم بينكم يوم القيامة ولن يجعل ا للكافرين على المؤمنين سبيلا وكذا روى ابن جريج عن عطاء الخراساني عن ابن عباس : ولن يجعل ا للكافرين على المؤمنين سبيلا قال : ذاك يوم القيامة وكذا روى السدي عن أبي مالك الأشجعي يعني يوم القيامة وقال السدي : سبيلا أي حجة ويحتمل أن يكون المعنى ولن يجعل ا للكافرين على المؤمنين سبيلا أي في الدنيا بأن يسلطوا عليهم استيلاء استئصال بالكلية وإن حصل لهم ظفر في بعض الأحيان على بعض الناس فإن العاقبة للمتقين في الدنيا والاخرة كما قال تعالى : { إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا } الاية وعلى هذا يكون ردا على المنافقين فيما أملوه ورجوه وانتظروه من زوال دولة المؤمنين وفيما سلكوه من مصانعتهم الكافرين خوفا على أنفسهم منهم إذا هم ظهروا على المؤمنين فاستأصلوهم كما قال تعالى : { فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى ا أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين } وقد استدل كثير من العلماء بهذا الاية الكريمة على أصح قولي العلماء وهو المنع من بيع العبد المسلم للكافر لما في صحة ابتياعه من التسليط له

عليه والإذلال ومن قال منهم بالصحة يأمره بإزالة ملكه عنه في الحال لقوله تعالى : { ولن يجعل ا للكافرين على المؤمنين سبيلا }